سورة البينة - دراسة أسلوبية دلالية

الأستاذ المساعد الدكتور مجيد صادقي مزيدي
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة العلوم والمعارف القرآنية ـ قم
majid.sm39@yahoo.com

A stylistic study – Al-Bayanah

Majid Sadeghi Mazidi
Assistant Professor of University of Quran Science and Culture

الملخص:-

إن الأسلوب منهج نقديّ يتناول النصوص الأدبية على أساس تحليل الظواهر اللغوية. يقوم هذا البحث على النظر في أسلوبية سورة البينة.تحتوي السورة على الموضوعين الرئيسيين، يشمل القسم الأول موضوع الكفار واستكبارهم ويحتوي القسم الآخر على موضوع المؤمنين والصالحين. وتظهر السورة لنا عن انسجامها وتلائم مع سياق الآيات. فتطغي الأصوات الشديدة والمجهورة على الأصوات المهموسة والرخوة في كل الموضوعات والآيات. فتبين الإحصائيات أنّ الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة وفق سياق الآيات، حيث تدل كثرة الأصوات المجهورة على دلالات معنوية وإيقاعية. بالنسبة إلى الأفعال والأسماء فسيطرت الأفعال الماضية على المضارعة ويرجع سبب ذلك إلى حتمية الموضوع وتحقق وقوعه. كما تواترت الأسماء أيضاً في سورة البينة في حقول مختلفة من الألفاظ المرتبطة بالمعتقدات الإسلامية وعالم الجزاء والقيامة والجنة والنار. وتوحي أسماء النكرات على الشدة والتعظيم والتفخيم، ويتجلي أكثر المعارف في الضمائر وأسماء الإشارة للتعبير عن وعد الرحمن والتعظيم والتفخيم وشدة عذاب الكافرين والمشركين.

الكلمات المفتاحية: سورة البينة، الأسلوبية، المستوى الصوتي، المستوى التركيبي.

Abstract:-

The method is a critical approach that deals with literary texts based on the analysis of linguistic phenomena. This paper examines the stylistic nature of the evidence. The Surah contains two main themes، the first section covers the topic of infidels and their ascension the other section contains the subject of the insured and the right. The surah shows us that it is in harmony with the context of the verses. The loud and unfamiliar voices are being shouted at the marginalized and soft voices in all subjects and verses. Statistics show that the sounds are more microscopic than the voices marginalized according to the context of the verses. Where the large number of microscopic sounds indicates significant and rhythmic significance.

In the case of acts and names, the past acts have been dominated by the argument, due to the inevitability of the subject and its occurrence. The names are also frequently mentioned in Surat al-Bayna in different fields of terms associated with Islamic beliefs, the world of punishment, standing, paradise, and fire. The names of the narratives suggest the intensity, the grandeur and the grandeur. The most common knowledge of pronouns and signatory names is the expression of the promise of mercy, majesty, veneration, and the severity of the punishment of kefir's and the participants.

Key words: Al-Bayanah, Stylistic Audio level, Structural level.

١. المقدمة:ـ

القرآن الكريم نبع لاينضب معينه، فهو مقصد كثير من الدارسين، وعلي اختلاف العصور توالت الأبحاث والدراسات القرآنية من القدماء والمحدثين تحاول اجتلاء السر في إعجاز القرآن تفهم ألفاظه ومعانيه وروعة أساليبه وبهاء صوره وألفاظه. يحمل النص القرآني، الكثير من الدلالات التي تعود إلى أسلوبه الخاص الذي يظهر في الظواهر اللغوية. فهذه الظواهر تحلل الآيات وتبين محتواها وتكشف عن مقاصدها الدلالية. وبما أن القرآن ينبئ عن ذات الله فإن أسلوبه يتمايز عن جنس الكلام الإنسيّ وهو سرّ إعجازه فمن ثَمّ القرآن معجز في أسلوبه الذي يعجز عنه البشر كما قيل أسلوبه مباين لسائر الكلام ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر[١] فللغة القرآن سماتها ومميزاتها الخاصة بها، ويستوي أن تكون هذه الخواص صوتية أو صرفية أو أسلوبية على مستوي الألفاظ ودلالتها. ومن البديهي أن تكون هذه السمات هي جملة الفروق بين لغة وأخري، وإن يكون الأساس الذي ينبني عليه تحديد اللغات[٢].

الأسلوبية وإن كان كثير من العلماء أثبتت بداياتها للبلاغة العربية والنقد العربيّ القديمين ولكن لا يمكن تعريف محدد وزمن خاص لها. سبق العلماء في النظر إلى الأسلوبية القرآنية ومنهم الجرجاني في نظرية النظم والباقلاني والقرطاجني. فإنّ الأسلوبية لها جذور عميقة في البلاغة العربية كما نلاحظ تلك الأسلوبية بصورة واضحة في القرآن الكريم، كما ذكر الباقلاني أن الأسلوب القرآني مغاير لكافة الأساليب على الرغم من استعماله لألفاظ البشر بحيث ليس من كلام الناس[٣].

أصبحت الأسلوبية أيضاً من المناهج الهامة في الدراسات العصرية. أصبح مصطلح الأسلوبية منذ القرن العشرين يطلق على تحليل الأعمال الأدبية، والأسلوب يعرف بالتمييز بين ما يقال وكيف يقال أو بين المحتوي والشكل، أو قيل هي دراسة الصلة بين الشكل والفكرة. قال أحمد شايب إنه معانٍ مرتبة في الذهن تتبعها ألفاظ منسقة وهناك عنصران وقاعدتان قاعدة الأفكار في عمقها حيث تتكون بالمعاني والتركيب وقاعدة المفردات في انتقائها وتركيبها حيث تتكون من الألفاظ والجمل والعبارات[٤]. فيمكننا القول إن الأسلوب منهج نقديّ يتناول النصوص الأدبية على أساس تحليل الظواهر اللغوية فيكشف من خلاله،

الظواهر الجمالية للنصوص ويبدو أهم سمات المنهج الأسلوبي هي استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه ثم مشاعره التي تجعله يلح على أساليب معينة ويستخدم صيغاً لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النص الأدبية[٥]. فيستخدم علم الأسلوب مستويات التحليل اللغوي وهي المستوى الصوتي والمستوى الدلالي والمستوى التركيبي.

من أبرز الأساليب في هذا الطريق هو أسلوبية السور القصيرة للقرآن ومنها سورة البينة. تناولت هذه السورة أسلوب الوعد والوعيد معاً، وتطرقت بالإنذار للمشركين والكفار وأهل الكتاب بالعذاب الخالد ووعدت المؤمنين والصالحين بالجنة الخالدة. يقوم هذا البحث على النظر في سورة البينة وما تضمنته من الخصائص الأسلوبية والنظم القرآني تركيزاً على المستوى الصوتي والمستوى التركيبي، لأن الدراسة الأسلوبية تستكشف عن الجوانب الجمالية وذلك بما تتيح للدارس من قدرة على التعامل مع الاستخدامات اللغوية ودلالاتها في العمل الأدبي، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة تتضح مميزات النص وخواصه الفنية[٦]. فإذا أردنا أن نهتم إلى البحث علينا أن نجيب عن الأسئلة الآتية: ١.ما هي الميزات للأصوات التي استخدمت في سورة البينة؟ ٢. ما هي الخصائص التركيبية والجمالات الصوتية في هذه السورة؟

٢. خلفية البحث

لقد حاول الباحثون، الدراسات المختلفة حول الأسلوب القرآني في الجوانب اللغوية والبلاغية والفنية للكشف عن الإعجاز الأسلوبي والبلاغي له، وبحثوا كثيراً حول السور المختلفة ولكن حول سورة البينة فلم نجد بحثا مستقلا يتطرق إليها تطرقا أسلوبياً دلالياً. هناك دراسات عديدة حول الأسلوبية في القرآن الكريم منها:

- دراسة باسم كنعان صالح وعلي عبد كنو (٢٠١١) "سورة البينة دراسة تحليلية". لقد اهتم الباحثان في هذه الدراسة إلى القراءات الواردة في السورة والأوجه الإعرابية وبعض الجماليات البلاغية لها.

-دراسة محمد يوسف المطاونة (٢٠٠٦) عنوانها "سورة آل عمران دراسة أسلوبية".

-دراسة نادية رمضان النجار (٢٠٠٧) عنوانها "الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها".

-دراسة عمر عبد الهادي عتيق (٢٠٠٩) عنوانها "الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية".

-دراسة مجدي عايش عودة (٢٠٠٩) عنوانها "النظم القرآني في سورة هود دراسة أسلوبية".

-دراسة حسين مجيد رستم (٢٠١٠) "البنية الأسلوبية في سورة النحل".

فكل هذه الدراسات حاولت الكشف عن السمات الأسلوبية لبعض سور القرآن الكريم.

٣. لمحة عن سورة البينة

وقد سميت هذه السورة سورة البينة لأنها أوضحت وبينت أن المشركين والكفار لن يتراجعوا عن شركهم وكفرهم حتى تأتيهم الحجة الساطعة وعندما جاءهم الرسول تفرقوا إلى الفريقين: المؤمنين والكافرين. سورة البينة سورة مدنية وقد ابتدأت بالكلام عن أهل الكتاب وكما هو معلوم أن أهل الكتاب هم اليهود والنصاري وبينت السورة أن هؤلاء كانوا مجتمعين على الإيمان برسالة محمد [قبل بعثته لأنهم كانوا ينتظرونه لكن ما إن جاءهم بالقرآن الكريم اعترضوا عنه حسداً واستكباراً وهم يعلمون علماً لاشك وظن فيه أنه هو النبي المذكور في كتابيهم التورات والإنجيل وإن دعوته هي دعوة مماثلة ومكملة لدعوة أنبيائهم وهي عبادة الله والإخلاص إليه. وإن يكونوا مستقيمين على ما جاءهم من ربهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة إلا أنهم كفروا فكان مصيرهم في النار وحالهم شر البرية وبينت السورة حال المؤمنين أصحاب المنازل العالية في جنات النعيم وهم الذين آمنوا برسالة محمد[فهم خير البرية جزاء طاعتهم واخلاصهم لرب العالمين(٧).

٤. تحليل المستوى الصوتي

الدلالة الصوتية التي تدرس في المستوى الصوتي، هي الدلالة التي تستنبط من الأصوات التي تألّفت منها الكلمة، فتدل شدة الصوت وجهره على معني قوي، كما تدل

رخاوة الصوت وهمسه على معني لين ويسر[٨] فالصوت هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النص الأدبي والقرآني وعلي هذا يعد المبحث الصوتي الخطوة الأولي للدارس اللساني؛ لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة[٩] لقد تميزت الدراسات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث بشكل خاص باهتماهما بالجانب الصوتي. فالأسلوبية الصوتية تعالج الخصائص المنوعة؛ منها الصفات العامة وهي الجهر والهمس والشدة والرخاوة فيهتم البحث بهذه الصفات. ويحدده علماء العربية بأنه الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نقطة أن يعترض مجري الهواء اعتراضا كاملاً أو اعتراضا جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع[١٠]. الصوت الجهوري عند العلماء هي ((ب، ج، د، ز، ر، ذ، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن)) والأصوات الشديدة هي ((ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، الجيم القاهرة)) والأصوات المهموسة ((ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه)) والألفاظ الرخوة فعند النطق بها لاينبجس الهواء انحباسا محكماً وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقاً وهي ((س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، ه، خ، غ))[١١].

يظهر الإيقاع الموسيقي واضحا في القرآن الكريم ويؤدي هذا الإيقاع دورا فاعلا في تكثيف المعني وزيادة طاقاته التعبيرية. سيحاول البحث دراسة هذه الظواهر الصوتية وتطبيقها على سورة البينة، لقد تمّ إحصاء الحروف في السورة وظهرت الصفات المجهورة والمهموسة في السورة على حسب الجدول التالي:

الجدول الأول

	عدد الحروف	النسبة المئوية
الأصوات الجهورية	١٩٦	٦٢/٢٢
الأصوات المهموسة	١١٩	٣٧/٧٨
المجموع	٣١٥	

جاء مجموع الأصوات المجهورة في هذه السورة أكثر من الأصوات المهموسة وهذا راجع إلى سياق السورة حيث يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة.

الجدول الثاني

	عدد الحروف	النسبة المئوية
الأصوات الشديدة	٧١	٦٠/٦٨
الأصوات الرخوة	٤٦	٣٩/٣٢
المجموع	١١٧	

تبين الإحصائيات أنّ الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة وفق سياق الآيات التي تناول السورة، فكثرة الأصوات المجهورة في السورة تدل على دلالات معنوية وإيقاعية. ونسبة الأصوات المهموسة في هذه السورة أقلّ من الأصوات المجهورة وهذا راجع إلى سياق سورة البينة حيث يقتضي استعمال هذه الأصوات.

تحتوي السورة على الموضوعين الرئيسيين، يشمل القسم الأول موضوع الكفار واستكبارهم ويحتوي القسم الآخر على موضوع المؤمنين والصالحين، فتغلب الأصوات المجهورة والشديدة على الأصوات الرخوة والمهموسة في أغلبية الآيات، وفي كلا الموضوعين تطغي الأصوات الشديدة والمجهورة على الأصوات المهموسة والرخوة.

تدل أصوات التفخيم، الأحداث الضخمة فتجسد الأصوات الجهورية والانفجارية ضخامة الموضوع. فقد عبّر سبحانه عن بطلان اعتقاد الكافرين وحجتهم ولما كانت الفكرة باطلة فقد رافقت التعبير عنه الأصوات الشديدة والجهورية. بدأت السورة بالنفي والصوت الانفجاري (اللام)كما تكررت اللام أربعة مراتٍ واستعمل (١٧) صوتاً شديداً انفجارياً في الآية ليدل على الاهتزاز الصوتي ويوحي بالشدة ويعبر عن تصوير حال الكافرين والمشركين بتصوير لانكارهم الحقيقة وإلحاههم على اعتقاداتهم المنحرفة فنري أنه تعالى عبّر عن هذا الموضوع في الأصوات الجهورية والشديدة.

إنّ صوت اللام من الحروف المجهورة وهي من حروف الذلق التي هي ثلاثة أحرف: الراء، اللام والنون. وصوت اللام أيضاً هو من الأصوات اللثوية وقد دلّ على الظهور والبروز وكما من الأصوات التي يتذبذب فيها الوترين الصوتيين فيحدثان اهتزازا واضطراباً[١٢]. الإحصائية في الآية الرابعة أيضاً تُبين أن الأصوات المجهورة والشديدة قدسيطرت على الأصوات المهموسة والرخوة لتحذير أهل الكتاب وترهيبهم. وحينما يتكلم الله تعالى عن الاختلاف والتفرقة من أهل الكتاب يأتي بالحروف التي تؤثر في القارئ فجاء بـ(٢٣) حرفاً جهورياً و(١٠)حروفٍ شديدة في الآية وتكررت اللام أيضاً في ألفاظ (الذين- الكتاب - إلّا - البينة) حيث المقام مقام الإنذار ورفض الدعوة والتفرقة كما استعمل أسلوب الإستثناء ليخرج الكلام العادي لإنذار الكفار والمشركين.

يتكرر هذا الأسلوب الصوتي في الآية السادسة من السورة. إن حرف الراء من

الأصوات المجهوري يتكرر على اللسان عند النطق بها فكأن اللسان يطل مرتعشا زمنا تتوالي فيه طرقات اللسان على اللثة نحو ثلاث مرات[١٣] وتكرار هذا الحرف يرسم لنا صورة لتجدد العذاب وخلود جهنم للكافرين ويصور عن تكرار الكفر والشرك وهذا يلائم المعني والألفاظ وذلك في ألفاظ (كفروا- المشركين- نار-شرّ- البرية) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ كما نشاهد الحروف المدية في ألفاظ (خالدين، كفروا، مشركين، نار) تدل على تلائم المعني والصورة بأدق تصوير يتجلي في الحروف والألفاظ وإذا تأملنا التركيبات الإيقاعية للمقاطع الصوتية ين في (المشركين، خالدين) نجد لها الوقع الخاص في الأذن والنفس معاً يجعله أثراً صوتياً يتمكن في النفس ويحقق الدلالات التي تبين الغور في شركهم وخلودهم فيها.

وأما بالنسبة إلى موضوع المؤمنين وأهل الجنة فنري أن الله تعالى في الآية الثانية يعرف البينة التي كانت ينكرها الكافرون والمشركون وتلك البينة هي رسول الله الذي يكون قدوة للناس وذلك في قوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ فتنوين النكرة يدل على عظمة الرسول وهذه الآية متشكلة من (١٧) صوتاً جهورياً وشديداً وما تلك إلا لبيان القوة والمنزلة الرفيعة لرسول الله وكتابه المعجز.وفي الآية السابعة يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ويقصد المؤمنين الذين هم خير البرية بالقوة ويدعوهم إلى الالتزام به فيجرّس هذا الترغيب بالأصوات الجهورية والشديدة حتى يلتزم الإنسان بها ويحرض إليها كما أن تواتر الحروف المدية في مجاورة تلك الأصوات يدل على السكينة والهدوء في المؤمنين وكحال الذين أسكنوا في نعم الله ويحبون استمرارها ودوامها وهذا بيان عن عن النعم الدائمة وأهل الجنة. فقد جاء التعبير عنه في غاية الهدوء والسكينة لأن الواو المدية والضمة من أثقل الصوائت حيث يحتاج الإنسان إلى تلفظهما.

بالنسبة إلى الأصوات المهموسة والرخوة تتناسق آيات السورة مع الغرض الرئيسي ولكل منها دلالة، على سبيل المثال يعبر الله تعالى في الآية الخامسة عن الدعوة إلى العبادة خالصة، وإقامة الصلاة والزكاة وبيان الدين القيم وهذا المفهوم يحتاج إلى الترقيق ويناسب جو الآية وذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ حيث المقام يقتضي الهدوء. فقد تواترت اللام المرقّقة (٨) مراتٍ والأصل في اللام العربية الترقيق ويجوز عند جمهور القرّاء أن تكون مغلّظة بشرط أن تكون اللام نفسها مفتوحة أو تجاور أحد أصوات الاستعلاء ((الخاء، الصاد، الطاء، الظاء الغين))[١٤]. وكما نشاهد الحروف المدية في كلمات (مخلصين - حنفاء - الصلاة - الزكاة - يقيموا) وهذا يدل الثبوت والرسوخ ويدور حول دعوة الإنسان إلى الله وهدايته.

وفي الآية الثامنة أيضاً تتبين من تكرار الأصوات والحروف، علاقة بين هذه الأصوات وبين الجوّ الذي وردت فيه وتظهر لنا عن انسجامها مع سياق الآيات كما نلاحظ في الآية أنّ الأصوات المدية تعطي الفرصة لحركة الرخوة والسكون والطمأنينة للمؤمنين في الجنة لكي يتلذذوا من النعم والإشارة إلى استمرارها ودوامها وهذا يلائم الصوت المديّ الكثير في الآية. فالمد في هذه الآية مزج بين الواو والألف والياء قد تمكن من تصوير الجنة في أحسن صورة لتتجاوب مع أحاسيس المؤمنين وسرورهم في الجنة يذكر عز الدين السيد إن الممدود في الكلام له صلة بالنفس في راحة القلب بمد النفس وراحة السمع بحسن النغم[١٥].

فقد منح تكرار الصوت المهموس(ه) بصورة مدية في ألفاظ (تحتها- الأنهار- فيها-) وتكرار الحروف المدية في (تجري- خالدين- أبدا - رضوا) نوعا من الإيقاع الموسيقيّ يغلب عليه الثبات والطمأنينة وتبدو عليه ملامح التسلية والتسرية والسكينة. ونشاهد أيضاً تكرار صوت النون في الآية وذلك حينما يريد الله تعالى أن يصور تصويرا خلابا عن الجنة ويدل على دلالاتٍ منها: نزول الخير والرحمة والرضا. لأنّ صوت النون الذي ذكرها القدماء في الأصوات الذليقة وهذا الصوت يأتي في الآيات ليزيدها وضوحاً ورنيناً[١٦] بالإضافة إلى صوت الغنة الموسيقي في هذا الحرف مع تردد موسيقي محبب فيها حيث ظهر نوع من الموسيقي الذي ترتاح إليه النفس ويميل إليه فنلحظ وضوحا صوتيا ورنينا مدويا يضاعف قوة السمع ويتواءم مع المعني.

٥. المستوى التركيبي

للمستوي التركيبي أهمية بالغة في الدراسات الأسلوبية حيث يترابط المستوى التركيبي في الأصوات والأبنية. يطلق المستوى التركيبي على دلالة الوظائف النحوية أو المعاني النحوية[١٧] فهو يتناول تقسيم الكلمات ويقدم صور الجمل المستعملة من إسمية وفعلية

ومايطرأ على كل منها من زيادات أو نقص أو تبديل وما يمكن أن تكمل به أحدهما أو يتصل بعناصر تصلح لأن توجد في كليهما[١٨] ويستنبط من المعاني العامة للجمل والأساليب الدالة على الخبر والإنشاء والجمل الفعلية والإسمية كما يتحدث عن الأزمنة الفعلية كإحصاء عدد تواتر الأفعال الماضية والمضارعة في سورة أو قصة و...[١٩] وتعريفه هو العلم الذي يقدّم لدارس اللغة الصيغ والتراكيب التي تشمل عليها امكانات استعمال اللغوي الصحيح.

الأفعال ودلالاتها: تعرض الإحصائيات أن السورة تحتوي (١٨) فعلاً: منه (٦) أفعالا مضارعة و(١٢) فعلا ماضيا، فسيطرت الأفعال الماضية على المضارعة ويرجع سبب ذلك إلى أن حتمية الموضوع وحال الكافرين والمؤمنين حاصل وواقع. الجدير بالذكر أن كل الأفعال لمرتبطة بالكافرين وأهل الكتاب جاءت بصيغة الماضي للتأكيد على جحودهم والعذاب الذي سيقع بهم نتيجة رفضهم لدعوة الله وذلك في ألفاظ (لم يكن-كفروا- تفرّق- اوتوا- جاءتهم)كما أن كل الأفعال المضارعة المستعملة في السورة تدخل في سياق الترغيب والدعوة إلى الهداية والعبادة (تأتيهم البينة- يتلو- ليعبدوا- يقيموا الصلاة-يؤتوا الزكاة- تجري).

افتتحت السورة بالفعل الماضي المنفي بـ(لم يكن...) فيصف الله تعالى الكافرين والمشركين بالصفات التالية: كفران أهل الكتاب والمشركين، إلحاحهم على معتقدات آبائهم وإصرارهم بها. فإن المضارع المنفي الواقع موقع المضي دلّ على المستقبل لأنه اقترن بالفعل المضارع (تأتيهم) من قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ.... حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. فعبر الله تعالى عنه بفعل ماض لكن الغرض منه وقوعه هو المستقبل. إن التحول في الأفعال من صيغة إلى صيغة أخرى من شأنه أن يمنع الكلام من الجريان على وتيرة واحدة لذا تنطوي الأفعال في الآية على الأساليب المنوّعة لتؤشّر أسلوباً هاماً. قد عبر الله تعالى عنهم بالأفعال الماضية في معني المستقبل للدلالة على تحقيق تلك الصفات وتضليل أعمالهم في الدنيا وللتأكيد على رفض الكافرين وإنكارهم الحقيقة.

نجد أن كل الأفعال المرتبطة بالكافرين والمشركين في السورة قدجاءت بصيغة الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعها فكأن الكفر والشرك والتفرقة قد حاق بهم. وكأنهم ينتظرون أن تأتيهم البينة فيؤمنوا بالله كما تشير عبارة ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ إلى دلالة الإنكار مشوباً بتهكم

الكافرين وتوبيخهم وكذلك يكرر الله تعالى، اللفظ والمعني في الآية السادسة وينذرهم بالنار الخالدة ثم يخذلهم بـ(هم شر البرية).كما تكررت الأفعال فنجدها تكرار عبارة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ ونلاحظ أن لتكرارها تهديد الكافرين ووعيدهم.أيضا نشاهد أحوال الكافرين حين يأتي في جملتين إسميتين فإذن القصد منهما القطعية والحتمية وهذا متناسق بسياق الآيات وألفاظها لإنه ذُكر لفظ (خالدين) كما أن الجملة الإسمية تدل على القطعية.

وأما المراد من الأفعال المضارعة فهو امتداد الهداية والخير من جانب الله تعالى إلى عباده المؤمنين. يشجيع الله تعالى في الأفعال المتتالية: (يعبدوا- يقيموا- يؤتوا) المؤمنين إلى التمسك بعبادة الله والالتزام بالأمور الدينية في الحال والمستقبل ويوعدهم بالجنة الخالدة حيث ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. فيدل مجيء فعل المضارع في هذه الآية على التجدد وهذا الفعل من أقسام فعل المضارع سيحدث بعد هذه الحياة الفانية - الأفعال الأخروية - وكأن وعد الخالق واقع فجاء بلفظ المضارع دليلا على إعجاز الزمن في القرآن الكريم[٢٠] ويرتبط بالقيامة وكما مجيء الجملة الإسمية دلالة على تعظيم أمر الآخرة وثبوته. أو عندما يقول ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يريد جهد الرسول في سبيل دعوة الكافرين ويؤكد على استمرار هداية النبيّ والفعل استمرار تجدديّ.

الأسماء ودلالاتها:

تواترت الأسماء في سورة البينة في أشكال مختلفة، فهناك ألفاظ تدل على علاقة وثيقة بالمعتقدات الإسلامية ك (يعبدوا - الدين - حنفاء - إقامة الصلاة - إيتاء الزكاة - دين القيمة)، تمحورت تلك المفردات حول حثّ الناس على المعتقدات الدينية وما أنزل الله فيها من التكاليف والأحكام. قد وردت مفردة (دين) مرتين في آية واحدة لتشير إلى الغرض الرئيسي والتأكيد على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة الذي يعد من الأركان الأساسية للدين القيم.

هناك حقل من الألفاظ حول الحساب والجزاء، هو: (جزاء - جنات - الأنهار - خالدين - رضي - رب) فيدل ذكر هذه المفردات على أن الله تعالى يقبل أعمال المؤمنين وسيجزيهم الله خير الجزاء بما اكتسبوا ونشر الفضل والرحمة والبركة والودّ. وذكر مفردة

(الأنهار) هي جمع نهر وهو مجري الماء الفائض وجعل الله تعالى ذلك مثلا لما يدرّ من فيضه وفضله في الجنة[٢١].

حقل عالم القيامة والعذاب: جاءت الألفاظ المختلفة حول القيامة وعذاب الكافرين والمشركين في آية واحدة. نلاحظ في هذه المفردات ألفاظاً قويةً لمعني العذاب والوعيد، فتكرار هذه المعني بالصور المختلفة (الإسم والضمير) يدل على الإنذار والتهديد للكافرين الذين خاضوا في كفرهم. فنشاهد تلك الحقول اللغوية في (نار-جهنم-خالدين-فيها-اولئك- شر البرية).

التعريف والتنكير: توحي الدلالات التي بالنكرات في السورة على مواقف التعظيم والتفخيم وتجلي ذلك في الكلمات التالية: (رسولٌ- صحفاً مطهرةً - كتبٌ قيمةٌ - حنفاءَ - جنات عدنٍ). فإذا تمسك الرسول بدعوة قومه قال الله تعالى ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ فقد ارتبط التنكير في الآية بموقف التعظيم والتفخيم كما تجلي ذلك في ألفاظ (صحفاً- مطهرةً) ليأتي تنكير الألفاظ مشعراً بطهارة الصحف وتعظيما لها. وعندما وصف المؤمنين استخدم بقاؤهم بصيغة النكرة لأنّ في ذلك بعث للتشويق في تصوير الجزاء العظيم الذي اكتنف نعيم الجنة فإنه بتنكير ألفاظ (جنات عدنٍ- خالدين-أبداً) وصف لوحة من لوحات النعيم الدائم في الجنة والدلالة على الدوام والمراد به ما هم فيه من النعيم الذي رضوا عنه كما رضي الله عنهم. فكل من النكرات يدل على الهداية والرضا، كما جاءت لفظة (خالدين) وصفاً لتهويل العذاب وتشديد الكافرين والمشركين ويدل على تفخيم العذاب الذي ينذرهم الله تعالى.

وأما استعمال المعارف فأكثرها تتجلي في الضمائر وأسماء الإشارة كما يتكرر الإسم لينذر المشركين وأهل الكتاب فاستعمال أسلوب تكرار اللفظ في الكفار والمشركين كلها يدل على الإنذار والترهيب في عدم امتثال أمر الله ورسوله ففي الآية الأولي يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وتُكرَّر الألفاظ في الآية السادسة من السورة فيقول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ...﴾. كما جري تكرار لفظة النار بصورة ضمير (فيها) الذي يعود إلى النار للتنبيه على خلود الكافرين والمشركين في جهنم وتحققها.

وتكرر ضمير (ها) في وصف آيات الجنة في قوله تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا... خَالِدِينَ فِيهَا﴾ للدلالة على حقيقتها وأهميتها وخلود المؤمنين فيها.

ومن المعارف إسم الإشارة، فهو إسم يعين مدلوله تعيينا مقرونا بالإشارة الحسية[٢٢] قد استخدم الخطاب القرآني في السورة في أربعة مواضع للتعبير عن وعد الرحمن والتعظيم والتفخيم وشدة العذاب، وهذا ما نلمسه في فحوي الآيات. لقد استعمل سبحانه إسم إشارة (ذلك) مرتين في السورة وكلها للتعظيم والتفخيم. فالإشارة في قوله ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ تحيلنا إلى الدين القيم والبليغ في استقامته الذي علينا اتباعه فهو منهجنا ولا سبيل له للنجاة إلا التمسك به وتوجيه منه تعالى على ترك الشيطان وطاعة الرحمن إذ لاصراط أقوم منه ولا اعوجاج فيه. كما تكرر هذا الإسم في وصف أهل الجنة فيقول ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فهذا إشارة توحي بوصف الجنة وماينتظر المؤمنين وتحتوي على الوعد والجزاء. وقد ارتبطت إسم الإشارة البعيدة في الآية بموقف التعظيم والتفخيم كما في ذلك بعث للتشويق في تصوير الجزاء العظيم.

وأما بالنسبة إلى (اولئك) فاحتوت الآيتان في السورة على هذه الإشارة، وجاءت الإشارة للوعد والوعيد، فنجد استعمال الإشارة (اولئك) من قوله تعالى 6خالدين فيها اولئك هم شر البرية5 توحي بالوصف بجزاء الكافرين وما ينتظرونه ليكون أقصي عذاب لهم فجهنم هي المكانة الدائمة التي يخلد الكافرون فيها. وأيضاً وردت إسم الإشارة (اولئك) في آية الوعد من قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وفائدته التنويه بمكانة المؤمنين والصالحين تفخيماً وتعظيما لهم. وفي الحقيقة إسم الإشارة في الآية ليَكون إشارة العظمة فإن الله عزّ وجلّ جعل اسم الإشارة تقابلاً للكفار والمؤمنين معاً ليظهر قدرته ومظهرا لسلطانه في السورة وجاء بصيغة الجمع تعبيراً عن شمولية الحكم لكل من أطاع الله وآمن وصالح.

صيغة الجمع: تعد صيغة الجمع من الظواهر اللغوية والدلالية التي اتسم بها الخطاب القرآني في السورة، وهي من مواضيع يجدر بنا الوقوف عندها خاصة عندما يتعلق بصورة دلالية ومن أهمها تحقيق الشمولية كما نجدها في قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ و ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ و ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾. إن الكفر والإيمان لاتختص ببعض الناس بل تعم كل من كفر أو كل من آمن وبهذا شمل الحكم. فيدل ضمير الجمع في الآيات المذكورة على الجمع وشمولية الحكم. هناك غرض أخرى يعبر عن نعم الله الجمة التي خلقها لينتفع بها فألفاظ (جنات-الأنهار-خالدين) تدل على تعدد أنواع النعم لأهل الجنة.

النتائج:ـ

يقوم هذا البحث على النظر في سورة البينة وما تضمنته من الخصائص الأسلوبية والنظم القرآني تركيزاً على المستوى الصوتي أو الدلالة الصوتية والدلالة التركيبية، من أهم النتائج التي وصلت إليها المقالة هي:

١- جاء مجموع الأصوات المجهورة في هذه السورة أكثر من الأصوات المهموسة وهذا راجع إلى سياق السورة حيث يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة. تبين الإحصائيات أنّ الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة وفق سياق الآيات التي تناول السورة، فكثرة الأصوات المجهورة في السورة تدل على دلالات معنوية وإيقاعية. فنسبة الأصوات المهموسة في هذه السورة أقلّ من الأصوات المجهورة وهذا راجع إلى سياق سورة البينة حيث يقتضي استعمال الأصوات المجهورة.

٢- نلاحظ في آيات التحريض والترغيب والترهيب والإنذار، تناول الله الأصوات المجهورة والشدة. تدل أصوات التفخيم الأحداث الضخمة، فتجسد الأصوات الجهورية والانفجارية ضخامة الموضوع. كما يخاطب المؤمنين الذين هم خير البرية بالقوة ويدعوهم إلى الالتزام به فيجرّس هذا الترغيب بالأصوات الجهورية والشديدة حتى يلتزم الإنسان بها ويحرض إليها كما أن تواتر الحروف المدية في مجاورة تلك الأصوات يدل على السكينة والهدوء في المؤمنين وكحال الذين أسكنوا في نعم الله ويحبون استمرارها ودوامها وهذا بيان عن أهل الجنة وعن النعيم الذي يقيمون فيه. فقد عبّر سبحانه في آيات الإنذار عن بطلان اعتقاد الكافرين وحجتهم ولما كانت الفكرة باطلة فقد رافقت التعبير عنه الأصوات الشديدة والجهورية.

٣- وأما بالنسبة إلى الأفعال والأسماء فتعرض الإحصائيات أن السورة تحتوي ١٨ فعلاً منه (٦) فعلا مضارعا و(١٢) فعلا ماضيا، فسيطرت الأفعال الماضية على المضارعة ويرجع سبب ذلك إلى حتمية الموضوع. الجدير بالذكر أن كل الأفعال لمرتبطة بالكافرين وأهل الكتاب جاءت بصيغة الماضي للتأكيد على جحد الكافرين والعذاب الذي سيقع بهم نتيجة رفضهم لدعوة إلى الله كما أن الأفعال المضارعة المستعملة في السورة تدخل في سياق الترغيب والدعوة إلى الهداية والعبادة.

٤- تواترت الأسماء في سورة البينة في أشكال مختلفة، فالألفاظ التي تدل على علاقة وثيقة بالمعتقدات الإسلامية وألفاظ الجزاء التي تدل على أن الله تعالى يقبل أعمال المؤمنين وسيجزيهم الله خير الجزاء. وعندما وصف المؤمنين استخدم خلودهم بصيغة ألفاظ النكرة حثاً على تصوير الجزاء العظيم الذي اكتنف نعيم الجنة، ووصف النعيم الدائم، كما جاءت لفظة (خالدين) وصفاً لتهويل العذاب وتشديد الكافرين والمشركين والدلالة على تفخيم العذاب. وأما استعمال المعارف فأكثرها تتجلي في الضمائر وأسماء الإشارة كما يتكرر الإسم لينذر المشركين وأهل الكتاب فاستعمال أسلوب تكرار اللفظ في الكفار والمشركين كلها يدل على الإنذار والترهيب في عدم امتثال أمر الله ورسوله.

٥- لقد استعمل سبحانه اسم إشارة (ذلك-اولئك) مرتين في السورة وكلها للتعظيم والتفخيم والترهيب وشدة العذاب. فالإشارة في قوله ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ تحيلنا إلى الدين القيم والبليغ في استقامته الذي علينا اتباعه فهو منهجنا ولا سبيل له للنجاة إلا التمسك به. وتوحي (اولئك) بوصف عذاب الكافرين وما سيقع بهم.كما جاء هذا الاسم لوصف المؤمنين وفائدته التنويه بمكانة المؤمنين والصالحين تفخيماً وتعظيما وفي الحقيقة إسم الإشارة في الآية لَيكون اشارة العظمة.

٦- تعد صيغة الجمع من الظواهر اللغوية والدلالية التي اتسم بها الخطاب القرآني في السورة، وهي من مواضيع يجدر بنا الوقوف عندها خاصة عندما يتعلق بصورة دلالية ومن أهمها تحقيق الشمولية. هناك غرض أخرى يعبر عن نعم الله الجمة التي خلقها لينتفع بها فـ(جنات- الأنهار- خالدين) تدل على تعدد أنواع النعم.

هوامش البحث

(١) حسن عباس، ١٩٩١م: ٢٨٦
(٢) بشر، ١٩٧٣: ١٩٣
(٣) إبراهيم، ١٩٩٧: ٢٢
(٤) جبر، ١٩٨٨: ٤٦
(٥) عودة، ١٩٩٤: ٩٩
(٦) عودة، ٢٠٠٣: ١٠٠
(٧) الصابوني، ١٩٨١، ج٣: ٥٨٦
(٨) عوض حيدر، ١٩٩٩: ٣٠
(٩) خان، ٢٠٠٢: ٦٥
(١٠) السعران، ١٩٩٧: ١٢٤
(١١) أنيس، ١٩٨٤: ٢٢-٢٤
(١٢) رمضان، ١٩٨٣: ٤٧
(١٣) أنيس، ١٩٨٤: ٥٥
(١٤) أنيس، ١٩٨٤: ٦٧
(١٥) رمضان، ١٩٨٣: ٤٧
(١٦) كشك، ١٩٨٣: ١٣
(١٧) حسان، ١٩٩٨: ١٧٨
(١٨) جبر، ١٩٩٨: ٧
(١٩) عزام، ١٩٨٩: ٨٧
(٢٠) عبدالفتاح الدجنيّ، ١٩٨٤: ١١٧
(٢١) الأصفهاني، دون تا: ٥٠٦
(٢٢) بديع يعقوب، ١٩٨٣: ٦٠

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- إبراهيم، خليل، الأسلوبية ونظرية النص، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م.
- الأصفهاني، أبي القاسم حسين، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دارالمعرفة، دون تاريخ.

- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م.
- بديع يعقوب، إميل، معجم الإعراب والإملاء، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
- بشر، كمال، دراسات في اللغة، مصر: دار المعارف، ١٩٧٣م.
- جبر، محمدعبدالله، الأسلوب والنحو دراسات تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر، ١٩٨٨م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م.
- خان، محمد، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، المغرب: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
- رمضان، عبدالتواب، مدخل إلى اللغة، الطبعة الثانية، القاهرة: الخانجي، ١٩٨٣م.
- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الطبعة الثانية، القاهرة: دارالفكر العربي، ١٩٩٧م.
- الصابوني، محمدعلي، صفوة التفسير، ج٣، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١م.
- عبدالفتاح الدجنيّ، فتحي، الإعجاز النحويّ في القرآن الكريم، الطبعة الأولي، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٤م.
- عبدالمطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٤م.
- عزام، محمد، الأسلوبية منهجا نقديا، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٩م.
- عودة، خليل، المصطلح النقدي في الدراسات العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد، مجلة الخليل للبحوث، العدد ٢٧، ٢٠٠٣م.
- عودة، خليل، المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، مجلة النجاح للأبحاث المجلد٢، العدد٨، ١٩٩٤م.
- عوض حيدر، فريد، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، الطبعة الثانية، القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م.
- فضل، حسن عباس وآخرون، إعجاز القرآن الكريم، اردن: دارالفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
- كشك، أحمد، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دارالسلام، ١٩٨٣م.